مقالات إلهام كمالي التي تنشر في *جريدة حضرموت و شبام الحضرمية*

أطفالنا هم المستقبل: الجزء الأول

عندما ننظر إلى ما بعد هذه الأزمات والصراعات الحالية سنرى أن أحد أعظم المخاطر التي تواجه الجنس البشري يكمن في جيل من الأطفال الذين يترعرعون في فراغ أخلاقي . إن قلوبنا لتنفطر إزاء الأطفال المجندين في أفريقيا ، وأطفال الدعارة في آسيا ، وجامعي القمامة البائسين في الملاجئ التي لا تحصى حول العالم ، هم ضحايا الفقر ؛ المادي والروحي ؛ على حد سواء . على أننا يجب ألا ننسى ملايين الصغار الذين يترعرعون في مجتمعات باتت أنظمتها التقليدية في حطام ، أو أولئك الذين حرموا التدريب الروحاني من قبل أجيال لا تقيم وزناً إلا للتربية المادية . وحتى لا نهوّن كثيراً من شأن العلل أو العلاج ، دعونا نذكر أيضاً أولئك الصغار الذين أنتجتهم الليبرالية الانفتاحية في الغرب حيث نشأ الكثير منهم على حب العنف والتسلح وآخرين منهم تربوا في ظل الرفاهية المفرطة والحرية البحتة ؛ التي أحطّت بدورها من شأنهم وأنزلتهم إلى رتبة الحيوان ، فجعلت شأنهم في ذلك شأن أقرانهم في مناطق الأقل حظاً من الأرض

يكمن في كل طفل نور العالم وظلامه . وإضاءة مصابيح هذه الأرواح مسئولية لابد أن نتبناها جميعاً لو كان لهذه الحضارة أن تزدهر وإن أردنا أن نرتقي في العصر الحاضر . فلا يجب أن يحرم الأطفال من نور التربية الأخلاقية وخصوصاً الفتيات اللاتي ستحملن لواء تغيير القيم للأجيال المستقبلية (فالأم مدرسة إن أعددتها اعددت شعباً طيب الأعراق) ، حقاً إن السيدات هن أحد أهم مفاتيح التقدم والإزدهار المنشود في هذا العصر ، كما إنهن صانعات السلام ؛ لأنها بطبيعتها تعارض الحرب وتدعو للمحبة والسلام . والأطفال يتربون تحت ظل الأم التي تعلمهم هذه المبادئ الأساسية وتجتهد حتى تكبر الأطفال فتأملوا قليلاً الأم التي ربت وتعبت وأعطت من عمرها وحبها وحنانها لإبنها مدة عشرين سنة صبرت إلى أن بلغ إبنها هذه السن فبالتأكيد إنها سترفض وتمتنع أن تبعث إبنها إلى ميدان الحرب والقتال . لذلك عندما تترقى المرأة في القوى والمكانة والقدرة في إبداء الرأي بالتأكيد ستقل الحروب لأن من طبيعة المرأة حب السلام، لذا يجب التركيز على تعليم المرأة ؛ فتعليمها خطوة عظيمة لخلق جيل مسالم ومسلح بالأخلاق الفاضلة ومجند بالمهارات والثقافة والفنون المختلفة

وعلى سبيل المثال لو نظرنا إلى عالم النبات نجد أن النخيل التي تحمل بلحاً ثمنها أغلى ، وفي عالم الحيوان الفرسة تمتلك نفساً أطول من الحصان وكذلك المرأة لديها جرأة أخلاقية أكثر من الرجل تتخذ قرارات حاسمة في اللحظات الخطيرة ، كما أن قلبها أكثر حناناً وتأثراً وأكثرمحبة لخير البشر وأكثر اهتماماً بمشاكل الناس من قلب الرجل . بناءً على ذلك يمكننا القول أن تربية البنات أعظم وأهم من تربية الأولاد لأن البنات هن امهات المستقبل اللاتي يربين ويعلمن الأطفال فأي نقص تعاني منه الأمهات ينعكس على المجتمع ككل ، فنلاحظ بروز الحوادث الإجرامية والإعتداءات السافرة ... فالأم هي التي تربي

وتنشئ ، فهل يمكن للطفل أن يكون ذكياً وملماً بكافة العلوم ومطبقاً للفضائل الحميدة في حياته إذا كان المعلم أُميّاً وجاهلاً ؟ فالتدريب الذي يتلقاه الطفل في البداية من امه يشكل أقوى أساس لترقيته في المستقبل

ومن ثم هل يمكننا أن نضمن سلامة مستقبل مجتمعنا إن قصرنا في تربية الأطفال ؛ خاصة الفتيات منهن (تربية روحانية وجسمانية وإنسانية) ؟ وهل المجتمعات التي يقوم أفرادها بإخراج بناتهم من المدارس في مراحل مبكرة بغية تزويجهن يستطيعون التغلب على المشاكل المستعصية والحوادث والنكبات التي تتكبدها ؟ فالأطفال هم الذين يحملون بذور الشخصية التي سيكون عليها المجتمع في المستقبل والتي يشكلها إلى حد كبير ما يفعله البالغون في المجتمع أو بما يُخفقون في أدائه تجاه الأطفال . إنهم أمانة لا يمكن لأي مجتمع فرطت بها أن تحقق أيّ انتصار

أطفالنا هم المستقبل: الجزء الثاني

جميع العظماء والحكماء والفلاسفة والعقلاء تحدثوا لنا عن بناء عظيم ومدنية جديدة ستؤسس على قاعدة عظيمة ستعم فيها السلام والأمان لكل الناس ، كما تغنى الشعراء بمحامدها . إن هذه المدنية التي حلم بها البشر لن تُبنى بالحديث والكلام والرؤى والأحلام ؛ بل بالمبادرة والعمل والإجتهاد . فالله يمنحنا الروح والعقل واليدين ولكنه لا يبني لنا الجسور . فنحن نعلم أن بناء المجتمع شيء مهم وحسن ولكن هل العلم بهذا الشيء وحده يكفي ؟ لا ؛ بالطبع لابد لنا أن نشد العزم والتصميم ونعمل لكي ننجز الهدف ونصل للغاية . إذاً علينا نحن جميعاً أن نتكاتف ونتعاون لبناء مجتمع جديد مبني على أساس القيم والفضائل وقاعدة الوحدة والمحبة . ولكن أعزائي لكي نبني عالياً ينبغي علينا أن نضع أساساً قوياً . نقصد بالبناء هنا هو بناء الإنسان بناء المجتمع الإنساني . وقاعدة هذا البناء هم الأطفال . فعلينا أن ننظر للأطفال على إنهم أنفس كنز يمكن للمجتمع أن تمتلكه لأن فيهم نرى أمل المستقبل وضمانه . فهم بمثابة منجم يحوي أحجاراً كريمة ؛ تخرج بالتربية جواهره إلى عرصة الشهود وينتفع منها العالم الإنساني

في المقدمة علينا أن ننظر لكل طفل على إنه موجود شريف ونبيل وله بعدين روحي ومادي ولكي نصل إلى الكمال نحن بحاجة إلى الرقي المادي والروحاني معاً (أيّ إلى التربية الروحانية والتربية المادية) . التربية المادية هي تحصيل العلوم والفنون والمهارات على يد معلم ماهر متدرب . أما التربية الروحانية هي عبارة عن تربية القلوب والأخلاق بالفضائل الإنسانية والكمالات المعنوية . والطفل بحاجة إلى الإثنتين وإذا لم يُربَّ فإنه يكون في نهاية التوحش ، فالتعليم والتربية هي التي تجعل الإنسان إنساناً وإذا ترك على الطبيعة فإنه يكون مثل سائر الحيوانات ، وكما ان التربية تجعل الغصن المعوّج مستقيماً وتجعل الأجمة حديقة وتجعل الشجرة عديمة الثمر مثمرة وتجعل الأرض الشائكة حقلاً للسنابل ، فبتربية الأطفال ستعمّر الديار المنهدمة وتجعل الجاهل كاملاً بصيراً . ولكن في حال أن تعلم الطفل التربية

الجسمانية وإنحرم من التربية الروحانية لا يصير كاملاً وسيحس بنقص كبير في حياته ولن يقوم بتأدية دوره نحو مجتمعه وواجبه نحو البشرية بأكمل وجه . فمثلاً : هنالك أطباء مشهورين في العالم ، قد إكتسبوا التعليم ومهارة مهنة الطب ولكنهم إنحرموا من فيض التربية الأخلاقية ، تراهم اليوم يتاجرون بأعضاء البشرية ، أو لا يرحمون المرضى من الفقراء ولا يرضون بمعاينة من ليس لديه المال الكافي حق المعاينة والكشف . إذا أطفالنا بحاجة إلى التعليم والتربية الروحانية قبل الجسمانية . ففي المدارس يجب أن تدرس التربية الجسمانية والروحانية معاً لأن العلوم المادية بمثابة الجسد وفضائل الأخلاق بمثابة الروح ويجب أن تنفخ في الجسد روح لينال الحياة . أما إذا لم تكن هناك روح فالجسد يكون ميتاً مهما يكن في منتهى الجمال ويغدو عديم الثمر وبدون نتيجة بل أحياناً يكون عدمه أحسن من بقائه كما ذكرنا في المثال السابق

إن المفتاح الأول والأساسي في تربية الطفل هم الوالدين وخاصة الأم ، لذلك قال الرسول الكريم (ص) " الجنة تحت أقدام الأمهات " . وعليه يجب إعطاء الأهمية القصوى بتربية وتعليم وتأهيل الفتيات لأنهن أمهات المستقبل وأول مدرسة يدخل فيها الطفل

أما مفتاح النجاح الثاني لأيّ خطة تطمح إلى التعليم الروحاني والمادي للأطفال هو تدريب المعلم . لأن معلمي الأطفال لهم التأثير القوي على جعل هؤلاء الأطفال يدركون هذا المفهوم وعندما يقبل المعلم بقناعة تامة أن كل طالب من الطلبة هو بمثابة منجم مليء بالأحجار الكريمة وقبول هذه الفكرة لا تكفي بحد ذاتها بل يجب على المعلم الإطلاع على الخواص الروحانية وأن تكون لديه معرفة كافية عن المواهب والقدرات البشرية لكي يستطيع اكتشاف الجواهر الثمينة في تلاميذه ويبذل جهده في مساعدتهم لصقل هذه الجواهر كما يجب أن يكون لديه إلمام تام بأهمية العمل من أجل تنمية الطباع والسلوكيات التي تتماشى مع طبيعة الحياة الأخلاقية . في البداية على المعلم أن يعشق مهنة التعليم ويعلم أن خدمته في حقل التعليم إنما هو عبادة لله لأنه يربي شجيرات الجنة وهذا من أعظم الخدمات، ومن ثم عليه أن يبرز صفتي المحبة والتفاهم لأن هاتين الصفتين تجعل الطلاب قريبين جداً منه ، فعليه أن يعتبر كل طالب مخلوقاً نادراً من صنع الله سبحانه وتعالى ولديه مواهب وقدرات خاصة اختصه بها الله ولكن الشيء الأكثر أهمية هو الفهم بأن لكل طفل قدرة على المعرفة والتطور الأخلاقي ولا يوجد طفل غير قابل للإصلاح فكلهم صالحون وبإستطاعة الكل أن يطوروا صفاتهم الروحانية ، يجب على المعلم أن يؤمن إيماناً صادقاً في قلبه بأن الجنس البشري خلق نبيلاً يمكن للمعلم من خلال مساعدة التلاميذ إظهار هذا النبل . فلقد خلق الله الإنسان شريفاً ونبيلاً وفضله على جميع الكائنات واختصه بمواهب كلية فأعطاه العقل والإدراك وقوة الحافظة وقوة التخيل والحواس الخمس الظاهرية وجعله مصدراً للفضائل كي يسطع كالشمس ويكون سبباً للحياة والبناء والعمران وتقديم الخير لمجتمعه بل للعالم بأسره

أطفالنا هم المستقبل: الجزء الثالث

إن ميلاد طفل جديد هو إحدى أكثر الهبات التي منحنا إياها الله روعة وقدسية ... ومسئوليتنا إزاء ذلك هو بذل كل ما أوتينا من قوة لمنح أطفالنا أفضل مستقبل ممكن . فعندما نوجّه لأيّ أبٍ هذا السؤال: ماذا تريده وتتمناه لطفلك ، سيجيب : " أنا أريده أن يكون سعيداً وناجحاً في حياته وذات نفع لنفسه ولغيره ". إن مثل هذه الإجابة تعد ملخصاً بسيطاً لكل الآمال والأحلام التي نريد من أطفالنا تحقيقها ، ولكن يجب أن نعلم بأن الطفل ليس كالمصنع أو الآلة ؛ فلا يولد ومعه كتيب إرشادات يخبرنا بما يجب عمله لكي يكبر الطفل هذا ؛ ويصبح إنساناً ناجحاً ومتفوقاً وكاملاً . لذا علينا (نحن أولياء الأمور ومعلمين والمسئولين) أن نبذل قصارى جهدنا في تربية أطفالنا ، فبتربية الأطفال سنمتلك القدرة على إزاحة جميع العراقيل التي تقف حالياً في طريق تطورنا كأفراد وكمجتمعات ، فالأطفال هم الذين يحملون بذور الشخصية التي سيكون عليها المجتمع في المستقبل ، ولكن لن يسعنا القيام بدورنا إزاء ذلك إلا حينما نمثل نحن أنفسنا التغييرات التي نود أن نراها في العالم وأن نطبق معايير السلوك في حياتنا ومن ثم نطلب من أطفالنا الإقتداء بنا . ومن ثم علينا أن نؤمن بأن كل طفل في هذه الحياة عبارة عن منجم غني بالأحجار الكريمة التي لا تقدر بثمن وإن التعليم والتربية وحدهما السبب في إظهار هذه الثروات القيّمة إلى العيان لكي ينتفع منها البشرية ويعيشوا بسلام وإطمئنان . فقد أودع الله في كل طفل منجم و أحجارها الكريمة هي فضائل الأخلاق المودعة فيهم وقابليات عقولهم الفذة وقدراتهم على إكتشاف عالم الطبيعة من حولهم وإنتاج أعمال فنية جميلة بقوة التخيّل الممنوحة لهم من خالقهم ، وقوة التعبير التي يمتلكونها للتعبير عن أفكار جميلة سامية والحواس الخمس التي لديهم لترجمة كل المواهب والقدرات إلى ميدان العمل والعمران والبناء ومساعدة الغير . ولكن تخيلوا أن يظل هذا المنجم دون مساس من قبل أولياء أمور جاهلين بدورهم الأساسي لإخراج تلك الصفات وصقلها ، أو أن نضع ذلك المنجم بأمانة معلم غير مؤهل ومُدرب على كيفية إستخراج تلك الجواهر والمواهب والقدرات الدفينة من أعماق نفس كل طفل من الأطفال . أو أن نقوم كمسئولين في التربية بإستخراج تلك الجواهر بواسطة وسائل قديمة وخرائط وخطط ومناهج غير ملائمة لهذا العصر، فهل سننجح في إظهار وصقل جميع الجواهر والأحجار الكريمة الموجودة في أعماق كل طفل في المجتمع؟

يمكننا أن نفكر في نوعين من المدرسين : الأول هؤلاء الذين يؤمنون بأن الإنسان يعتبر كالمنجم غني بالأحجار الكريمة الكامنة في أعماقهم والتي لا تقدر بثمن فيحاول مساعدتهم لإكتشافها ومشاركتهم لإبراز ماهو المكنون بداخلهم ، فيتحدث معهم ويستمع لهم ولآرائهم ويحاول تنمية قدراتهم التي وهبها الله لهم . والنوع الثاني من المدرسين يعتقدون بأن التلاميذ لا يعرفون شيئاً وعليه فإنه من الصعب أن يتعلموا شيئاً وفي بعض الأحيان يتهمونهم بالغباء فهم يعتبرون الأطفال أوعية فارغة يأملون بملئها قطرة قطرة بالمعلومات . لتوضيح النوعين من هؤلاء المعلمين سأضرب لكم مثلاً : لو افترضنا أن هنالك شخصاً وضع أمامك أربعين وعاء وطلب منك ملأهم بالماء ملعقة ملعقة ، فهل ستحب فعل ذلك ؟ هل ستكون سعيد ومستمتع بهذه المهمة طوال حياتك ؟

الآن لنفرض أن مالك منجم أئتمنك على منجم عظيم مليئ بالجواهر والأحجار الكريمة ذات قيمة عالية ووظفك أن تقوم كل يوم وتبحث فيها عن الجديد من المجوهرات الكامنة في أعماق الأحجار الموجودة في ذلك المنجم العظيم وتستخرجها وتصقلها حتى تلمع وتبرز جمالها الحقيقي للعيان ألا يبدوا هذا العمل أكثر متعة لمشوار حياتك وأعظم نتيجة لأسلوبك المهني في حقل التعليم ؟ فعند تطبيق المعلم لهذا المفهوم فإنه لا يساعد الأطفال فحسب بل يجعل مهنة التدريس أكثر متعة من قبل ، كما ستدر عظيم فوائده ونتائجه لا على المجتمع فحسب بل على العالم بأسره . إذن يتلخص دور المعلم في: أولاً أن يؤمن بأن كل تلميذ لديه عبارة عن معدن يحوي على الجواهر والأحجار الكريمة . ثانياً : إن كل صف يدخلها عبارة عن منجم أمانة بين يديه عليه أن يدخلها بكل حب ورغبة ويتصرف بحس من المسئولية والوفاء بالأمانة التي بين يديه ومن ثم عليه أن يجعل الطفل يؤمن ويعتقد بأنه يكمن في داخله الأحجار الكريمة ، حينها سيؤدي المعلم دوره العظيم في إظهار وإبراز تلك الثروات القيمة إلى حيز الوجود ، وحينها سيجني أجر عبادته لله فـ (العمل عبادة) وبها يتقرب لله ، كما إنه سيخلد حياً في قلوب تلاميذه إلى الأبد

أطفالنا هم المستقبل: الجزء الرابع

في البداية من الخير أن نعلم أن أبنائنا يمرون بثلاث مراحل عمرية ، أولاً : مرحلة الطفولة (من الولادة وحتى سن العاشرة) ، ثانياً : عند بلوغه سن الحادية عشر يصبح شاباً ناشئاً ، وثالثاً : عند إتمامه سن الخامسة عشر يصير شاباً . والأهم أن لكل مرحلة من تلك المراحل تغييراتها وإحتياجاتها وتحدياتها ... الخاصة بها . فلا نستطيع معاملة الشاب الناشئ بنفس أسلوب التعامل مع الطفل .. وقس على ذلك

وبما إننا نتحدث عن الأطفال فكما ذكرنا أن طفولة الإنسان على خلاف الحيوان تكون طويلة ويبلغ عشر سنوات ، يكون فيها الطفل بحاجة إلى معاونة الآخرين وهو محروم من الاستقلالية بخلاف الكائنات الحية الاخرى ، فالسمك مثلاً منذ الأيام الاولى من عمره يكون مستقلاً ولا يكون محتاجاً إلى مساعدة أو مساندة ، أما الانسان فقد أعطاه الخالق مدة طويلة نسبياً عن بقية الموجودات ليعيش فترة الطفولة وبالتأكيد إنها مبنية على حكم ، ولذلك وجب على المربيّن وأولياء الأمور الإطلاع على أهمية هذه المرحلة لأننا لو أهملنا هذه النقطة من الممكن أن نضيّع فرصة قيمة هباء ، ونكون سبباً في ضياع عمر وحياة فلذات أكبادنا مدى الحياة ونجعل عيشتهم تعسة

أحد الحكم من إمتداد فترة الطفولة أن يبقوا الأطفال تحت ظل التربية والتعليم من قبل المربين ويقووا قواهم الجسمانية والروحانية اللازمة لحياتهم المستقبلية وليكتسبوا التجارب المطلوبة والملكات الفاضلة كي يستطيعوا الاستمرار في الحياة والتغلب على الصعوبات . ومن المسلم به من الناحية العلمية أن مدة

طفولة الانسان المتحضر تكون طويلة كي يهيء نفسه للفترات المقبلة في حياته ويستقيم ويتواءم مع شد وجذب الحياة ، فيجمع الذخيرة الكافية اللازمة لحياته ويكيف ويوازن غرائزه الطبيعية مع احتياجاته الاجتماعية ، كما أن الطفل يتعلم ويقبل التعليمات بسهولة قبل بلوغه سن الحادية عشر ، فكلما كبر الطفل وتخطى مرحلة الطفولة سيصبح التربية والتعليم أصعب والإنصياع للأوامر صعباً بنفس الدرجة . لذلك على أولياء الأمور والمعلمين الإهتمام بمرحلة الطفولة والاستفادة منها في غرس بذور القوى الروحية والجسمية والانسانية ورسوخ العادات الحسنة والصفات الحميدة لدى الأطفال . فعندما يريد قبطان السفينة الإبحار في المحيط المتلاطم ويهدف إلى هذا السفر المليء بالمخاطر يجب عليه منذ البداية ان يعد لنفسه سفينة محكمة تكون مناسبة لتحقيق هذا الهدف ويجب أن يأخذ جميع احتياجاته اللازمة مقابل تلاطم الامواج ليقاومها كمقاومة الجبل وان لا ينهزم مقابل الطوفان والعواصف الشديدة كي يصل إلى هدفه بأمان

بهذا القياس نستطيع ان نقول عندما يلقي أولياء الامور المحترمون أطفالهم في بحر المجتمع المتلاطم يجب عليهم أن يهيئوا لهم جميع اللوازم الضرورية والوسائل التي تنجيهم وتوصلهم إلى شاطىء النجاة بأمان ويتخطوا الطريق المليء بالحوادث . فبعض الآباء والأمهات لا يعطوا أية اهمية لهذه الفترة المهمة من حياة الانسان معتقدين بأنه عندما يكبر ويعقل سيستطيع ان يميز بنفسه ماذا يجب ان يفعل وكيف يعيش في هذه الحياة . إن امثال هؤلاء النفوس كالبستاني الذي لا يعتني بالنبتة الصغيرة ولا يهتم بتربيتها ولا يجعل الفرع المعوج مستقيماً على أمل ان الشجرة عندما تنمو وتكبر وتصبح قوية ستستقيم من تلقاء نفسها

يقول العالم الشهير (جون لوك) :ان ضمير الطفل كلوحة بيضاء نقية بحيث يمكن ان يكتب المربي بطباشير التربية مايشاء ويرسم كيفما يحلو له ، وقد قيل منذ القدم أيضاً أن العلم في الصغر كالنقش في الحجر . لأن الإنسان طبقاً للتربية التي تلقاها منذ نعومة أظفاره ووفقاً للطريقة التي يعتاد عليها يسير عليها طوال عمره وتكون العادة معه شريكته ويصعب عليه تركها . فطوبى للأطفال الذين يحظون منذ الصغر باهتمام وتربية الوالدين والمعلمين ويكتسبون الملكات الفاضلة ويتصفون بالصفات الحميدة منذ صغرهم لتصبح هذه الفضائل الانسانية المكتسبة ؛ شجرة مثمرة في الكبر وينشأ الطفل عضواً مفيداً وصالحاً للمجتمع ، فمستقبل المجتمع وازدهاره وحضارته قائم على أكتاف (أطفال اليوم لأنهم شباب الغد) وبذلك يجب تربيتهم منذ نعومة الأظفار تربية حسنة وتوجيههم التوجيه الصحيح إن كنا نصبو لوضع نهاية سعيدة لآلام مخاض عالم اليوم

أطفالنا هم المستقبل: الجزء الخامس

إن العالم بالنسبة لأطفالنا ؛ ماهو إلاّ مكان رائع يوجد به الكثير والكثير لعمله والتعلم وإكتساب المهارات من خلاله . فعندما يأتي الأطفال إلى هذا العالم ، تكون عقولهم أشبه بالإسفنجة ، فيكونون مستعدين لإمتصاص وتخزين كل المعلومات والتجارب والمهارات التي تأتي في طريقهم . كما يكونون فضوليين ولا يكفون عن طرح الأسئلة التي تبدأ بكلمة "لماذا؟" . وبإمكاننا أن نستمر في إمداد تلك الشعلة في أطفالنا بالوقود حتى تبقى مشتعلة طوال حياتهم . يقول الكاتب الكبير "روبرت فالجم " : " طلب أحد الضيوف من العالم المعروف "أينشتاين" أن يُريه معمله ، فإبتسم هذا الرجل العظيم وأمسك بقلمه وأشار به نحو رأسه " .

فمن المفيد أن نعرض لك بعض الحقائق عن كيفية عمل المخ قبل الإنتقال إلى الطرق التي يتعلم بها الأطفال :

- يوجد بالمخ ما يقرب من مائة مليون خلية عصبية . وكل واحدة منها تتصل بأكثر من ألف خلية أخرى .
- الذكاء هو القدرة على التوصل إلى أنماط وعلاقات بين ما نعرفه بالفعل والمعلومات الجديدة .
- يجمع المخ معلومات بمعدل 40 ألف محفز لكل ثانية .
- نحو 95% من هذه المعلومات يتم الحصول عليه من حواس البصر والسمع واللمس الخاصة بنا.
- المعلومات التي يتلقاها المخ تتجه إلى ذاكرة المدى القصير ، وإن استطاع المخ استيعاب هذه المعلومات وفهمها فإنه يحولها إلى ذاكرة المدى الطويل ، أما باقي المعلومات فينساها المخ .
- يمتلك المخ المقدرة على تخزين كمية غير محدودة من المعلومات ، فالكمية التي يستطيع تخزينها في اليوم تفوق تلك التي يستطيع الكمبيوتر معالجتها في سنوات .
- يأخذ المخ نفس حجم ثمرة الجريب فروت .
- من أهم العوامل المؤثرة في تطور المخ العوامل الوراثية والبيئة المحيطة .
- عملية التعلم نشطة دائماً .
- التكرار هو مفتاح الحفظ .
- تعمل الانفعالات على " تثبيت " المعلومات في الذاكرة .

وهنالك حقائق مهمة يجب أن تعرفها عن مخ الطفل :

- يبدأ مخ الطفل في النمو منذ لحظة ميلاده .

- يصل الأطفال إلى هذا العالم ولديهم رغبة في التعلم .

- عندما يبلغ الطفل عامه الأول تكون قد تكونت بالفعل روابط المخ التي تحدد إلى أيّ مدى سيكون ماهراً ومبدعاً وخلاقاً .

- يستقبل الأطفال دون وعي منهم المعلومات من البيئة المحيطة .

- يتعلم الأطفال بسرعة كبيرة ، فمخ الطفل البالغ من العمر ثلاث سنوات أكثر نشاطاً بمرتين ونصف من مخ الانسان البالغ ، ويظل نشطاً للغاية خلال العشر سنوات الأولى من عمر الطفل . ويبدأ " النظام الكهربي " في مخ الطفل في التطور منذ مرحلة الولادة وحتى عشر سنوات .

والآن سنوضح كيفية تعلم الطفل : فالتعلم هو عملية نكتسب ونخزن من خلالها معرفة نستطيع استرجاعها عند الحاجة . وهناك عدد من الطرق يتعلم بها الأطفال :

- يتعلم الأطفال من خلال المشاركة الفعالة والممارسة الفعلية .

- يتعلم الأطفال من خلال محاولة القيام بأشياء بأنفسهم ، خاصة حينما يستخدمون أيديهم .

- إنهم يتعلمون من خلال تجربة الأشياء في العالم من حولهم .

- إنهم يتعلمون من خلال اللعب .

- إنهم يحتاجون إلى الحرية لمتابعة الأمور التي تثير اهتمامهم ، فهذا سوف يساعدهم على تعزيز قدراتهم .

- يجب أن يمنح الأطفال الفرصة للإستكشاف ، فإذا فرضت عليهم الكثير من القيود ، فإنك بذلك سوف تكبل غرائزهم الطبيعية .

- إنهم يحتاجون إلى الفرصة للقيام بنفس الشيء مرات ومرات حتى يستطيعوا بعد ذلك فعله ألياً ويثبت داخل ذاكرتهم .

- يجب تشجيع الأطفال على التحدث عما يفعلونه وعما يحدث حتى يتعلمون الكلمات التي تناسب أفعالهم . وكلما تحدثوا أكثر ، كان ذلك أفضل .

- يجب مساعدتهم على الربط بين ما يعرفونه بالفعل والمعلومات الجديدة .

وإن أردت أن يصبح طفلك متعلماً ناجحاً ، فلابد أن تضع في إعتبارك العوامل التالية :

- لتكن توقعاتك عالية : توقع دوماً نجاح طفلك . فإيمان طفلك بقدرته على النجاح يبدأ من إيمانك أنت بأنه سيحقق نجاحاً .

- حفز طفلك : فرغبة طفلك في أن ينجح لها نفس أهمية قدرته على النجاح .

- نمِّ داخله حب القراءة : فما أجمل منظر أحد الوالدين وهو يساعد طفله في إختيار كتاب مفيد لشراءه من المكتبة وذلك من مصروفه المدرسي .

- لا تكف عن التحدث إليه : بخصوص أيّ شيء وكل شيء . تحدث معه عما تفعله ، وعما يفعله هو وعما يفعله الآخرون ، والأحداث الجارية ، وما يحدث حولك ، والكتب التي تقرؤها ، وبرامج التلفاز ، ومشاعره . وأنا متأكدة من أنك فهمت ما أود قوله ! لقد أثبتت البحوث أن باستطاعتك دعم حب طفلك للتعلم عن طريق تبادل الأفكار بينك وبينه .

- نم المرونة في طفلك : وهي القدرة على الرجوع خطوة والمحاولة مرة أخرى والإستمرار في المحاولة حتى ينجح .

- ساعد طفلك على إكتساب خبرة واسعة : عن طريق السفر وممارسة الأنشطة الاستجمامية وإستكشاف البيئة من حولهم . فلقد إكتشف العلماء أن أطفال القرى أكثر ذكاء وخبرة وجرأة ودقة في الملاحظة من أطفال المدينة . والسبب يعود لزيادة فرص الإستكشاف لدى أطفال القرية عن نظائرهم في المدينة .

- دعِّم طفلك : فتقديم الدعم اللازم هو العصا السحري الذي يشكل مستقبل الطفل . لأنه يعزز ثقة الطفل بنفسه وهو على الأرجح أهم مهمة نقوم بها كآباء لأطفالنا . فهنالك مثل قائل :" تصبح لدينا فراشات حينما نطعم اليرقات وليس عندما نلصق أجنحة فوقها ". فنحن نستطيع بناء الثقة بالنفس بأطفالنا بدعمهم وتقديرهم وقبولهم كما هم . فلدى كل واحد منا مواهب خاصة . وتزداد ثقتنا بأنفسنا حينما نتقبل ونقدر ونعزز أوجه تفرد الطفل

أطفالنا هم المستقبل: الجزء السادس

إن ديناميكية تعليم الأطفال تختلف بإختلاف المجتمعات ولكن أرى أن الجميع يوافق على أن مفتاح النجاح لأيّ خطة تعليمية هو تثقيف المجتمع وأولياء الأمور وتدريب المعلم . فعلى كل فرد في المجتمع أن ينظر لكل طفل على إنه مخلوق فريد ونادر من صنع الله سبحانه وتعالى ولديه مواهب وطاقات وقدرات خاصة اختصه بها الله (فالكل يمتلك مواهب وهبات ربانية بناءة وقيّمة وتستحق التقدير والإهتمام) وإنها تختلف عن تلك الخاصة بالآخرين . والأهم من هذا كله هو الفهم بأن لكل طفل قدرة على المعرفة والتطور المادي والروحاني ، ولا يوجد طفل غير قابل للإصلاح ، فكلهم صالحون وبإستطاعتهم أن يطوروا صفاتهم وأخلاقهم ومهاراتهم وسلوكياتهم . ولتوضيح هذه المقدمة دعوني أضرب لكم مثلاً من الحياة : فهنالك طفل بمثابة الشمعة (لديه القابلية والقدرة على إعطاء الضوء) ، وهنالك طفل بمثابة قلم رصاص (لديه قابلية الكتابة والرسم)، وهنالك طفل آخر بمثل الكوب (لدية طاقة وقابلية التخزين والإمتلاء والحفظ) . فعلى كل معلم (المجتمع / الوالدين / الأساتذة التربويين) أن يبحثوا في داخل كل طفل /طالب ليجدوا مواهبهم وطاقاتهم وقابلياتهم ليرعوها وينموها . فالشمعة لديها القابلية للإنارة ولكن هل يعني ذلك أن الشمعة ستعطي الضوء من تلقاء نفسها ، أم أن علينا إشعالها (مع أنها تمتلك القدرة الكامنة والمكنونة بداخلها لإنارة محيطها حتى وهي مطفأة ، ولكن يجب إعطائها الشعلة الأولية حتى تقوم بوظيفتها). ولكن هل نستطيع أن نفعل نفس الشيء مع قلم الرصاص ؟ هل يظهر طاقات قلم الرصاص حينما نشعله كالشمعة ، أم أن لقلم الرصاص طاقة أخرى وعلينا إبراز قابليته بإسلوب آخر؟ فعلينا إذن أن نبري قلم الرصاص ونوفر له الورق كي يُظهر الطاقة الكامنة بداخله . كما أن أسلوب التعامل مع الشمعة و إحتياجات قلم الرصاص يختلف عن إحتياجات الكوب بنفس درجة

إختلاف قدراته وطاقاته وقابلياته . فلنرجع ثانية ونفكر في قدرات الأطفال أن بعض قدراتهم تكمن في المواهب الخاصة التي يمتلكونها ، فهناك طفل قادر على الجري السريع والثاني لديه صوت جميل والثالث لديه موهبة فنية رائعة والآخر تكمن فيه المقدرة العلمية الفذة . فدور المعلم هو البحث بداخل كل طالب من طلابه ليجد مواهبهم الكامنة المكنونة فيهم ويساعدهم في تطويرها . وكما ذكرنا سابقاً فإن المعلم بمثابة صاحب منجم مليء بالأحجار الكريمة عليه إكتشافها وإستخراجها بكل دقة وحذر وخبرة . وهذه المهمة ليست سهلة مع كل الأطفال ولكن عليه التزوّد بزاد الصبر والمثابرة والإستمرارية في المحاولة . والأهم من هذا كله أن إكتشاف القدرات الروحانية وملكات فضائل الأخلاق أهم وأصعب بكثير من جميع تلك المواهب والقدرات الاخرى .

إذن من الممكن أن يتحرك كل فرد من أفراد المجتمع ويسير في طريق الفهم والإدراك ولا يهم ان يفهم الكل بمستوى واحد وحقيقة واحدة ، فالكل يصل إلى مرحلة معينة من الفهم والادراك حسب استعداده ، أيّ الكل لديه الاستعداد ، فقط يجب عليه أن يكون **راغباً في إكتساب المعرفة ثم عليه السعي للوصول إليه** حينها فقط يصل إلى الاستفادة . وفي حال لم نحصل على نتيجة من أيّ درس ووجدنا التلاميذ نتيجتهم صفر فهذا يعني فقدان **عامل الرغبة والسعي** .

والأهم من هذا كله هو دور المعلم بأن يجعل الأفراد يفكرون لا أن يلقنوا الأطفال ويحفظوا الشيء دون تفكير . فإذا شجعهم المعلم أن يفكروا حتى لو لم يصل الكل إلى الجواب الصحيح يكون التفكير أفضل من أن يعطي التلميذ جواباً صحيحاً دون ان يكون نابعاً من تفكيره . لأنه لم يحرك القوة المفكرة لديه ، لأن التفكير يجعل الإنسان ينمو ويترقى ، فالهدف من التعلم ليست جمع المعلومات ، فالمعلومات اليوم نستطيع أن نحملها معنا في أيّ مكان كنا ، فعالم التكنولوجيا الآن يخزن لك معلومات كثيرة في قرص صغير بإمكانك أن تحمله في جيبك وتحصل على الاجابة على أيّ سؤال بالضغط على الزر . بل نحتاج إلى التمرين على التفكير لأن التفكير يساعد الإنسان أن يصل إلى الحقيقة . فعلى الأطفال أن يتعلموا القوانين والأصول الروحانية والفضائل الأخلاقية والعلوم والمهارات ويطبقوها في حياتهم ويفكروا فيها و في كيفية تطويرها . المقصود هنا ليس أن نترك الطفل بنفسه ليفكر بأيّ طريقة يريد ولايّ نتيجة يصل إليها ، بل يجب أن يتعلم هذا النوع من التفكير . وفي هذا السبيل علينا إحترام تفرّد قدرات وطاقات كل طفل عن الآخر . وهنا يبرز أمامنا سؤالين في غاية الخطورة ؟ هل المناهج الدراسية والأساليب التربوية الحالية تخدم هذا النوع من التفكير وتحترم هذا النوع من الخصوصية والتفرد في شخصية كل طفل من أطفالنا / أم تعتبرهم جميعاً نوع واحد من الكوب يجب ملؤها بدرجة معينة من المعلومات وحشوها بالمحفوظات ؟

ثانياً : ما هي النتيجة الغاية التي نهدف إليها من إحترامنا وقناعتنا بأن كل طفل فريد في شخصيته وقدراته ومواهبه وقابلياته وإعطائه كل ما يلزمه لصقل تلك الشخصية والقدرات الربانية والمواهب وتوفير الجو والأرضية الصالحة لنمو تلك القابليات ؟ الجواب بكل سهولة وبإيجاز : بإظهار الإحترام والقناعة قولاً وفعلاً نحو قدرات أطفالنا المختلفة فإننا نضع حجر الأساس لمجتمع لن يقبل إهانة أفراده ، لأن هؤلاء الأطفال هم الذين يحملون بذور الشخصية التي سيكون عليها المجتمع في المستقبل فبتربية الأطفال سنمتلك القدرة على إزاحة جميع العراقيل التي تقف حالياً في طريق تطورنا كأفراد وكمجتمعات حيث سيكبر هؤلاء الأطفال الذين يتمتعون بإحترام الذات ليرفضوا أية سلوكيات عنيفة ومتحيزة وغير أخلاقية ومنافية لرفعة مقام الإنسان . وفي المقابل سيحترمون حقيقة تفرد الآخرين وتفرد آرائهم ووجهات نظرهم. وبالتالي لن يشعرون بالتهديد حينما يصادفون افراداً يخدمون الوطن معهم وهم مختلفين عنهم بالرأي والشخصية والثقافة والفكر بل سيتقبلون فكرة بناء مجتمع على أساس الوحدة في التنوع .

أطفالنا هم المستقبل: الجزء السابع

عندما ندخل في أيّ صف في المدرسة نرى أن الأطفال كلهم في مرحلة دراسية واحدة وأعمارهم موحدة ويدرسون منهجاً واحداً ويلبسون زيّاً موحداً ولكن هناك إختلاف وتفاوت بين أطفال الصف الواحد من حيث الأخلاق والإستعداد والقابلية والإدراك . لأن أخلاق النوع الإنساني تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

1- الأخلاق الفطرية .
2- الأخلاق الموروثة .
3- الأخلاق الإكتسابية (التي نحصل عليها بالتربية والتعليم).

أما الأخلاق الفطرية وإن كانت الفطرة الإلهية خيراً محضاً ولكن إختلاف الأخلاق الفطرية في الإنسان ناشئ عن تفاوت الدرجات ، فكلها خير أما بحسب الدرجات هي بين حسن وأحسن ، كما أن لجميع النوع الإنساني إدراكاً واستعداداً ، ولكن يتفاوت الإدراك والاستعداد والقابلية فيما بين النوع الإنساني ، وهذا واضح ، مثلاً هناك أطفال في بيت واحد وفي محل واحد ويتربون في ظل عائلة واحدة وتحت هداية أبويهم ويأكلون من غذاء واحد ولكن نشاهد التفاوت بين هؤلاء الإخوة فأحدهم ماهر في الفنون والآخر متوسط وغيره متأخر ، إذاً صار من المعلوم أن التفاوت في الدرجات موجود في أصل الفطرة ، وأن تفاوت القابلية والاستعداد مشهود ، ولكن ليس هذا التفاوت من وجهة الخير والشر بل هو مجرد تفاوت في الدرجات . أما النوع الثاني من تفاوت الأخلاق يعود للوراثة والعوامل الوراثية وضعف أو قوة مزاج الأبوين ، بمعنى لما يكون مزاج الأبوين ضعيفاً يكون أطفالهما مثلهما ، وإن كانا قويين فأطفالهما يكونون نشيطين ، وكذلك يكون لطهارة الدم حكم كلي ، لأن النطفة الطيبة كالجنس الأعلى الذي يوجد في النبات والحيوان أيضاً وبالأخص في عالم الخيول .

أما في عالم البشر فإننا نلاحظ أن الأطفال الذين يولدون من أب وأم ضعيفين وعليلين يبتلون طبعاً بضعف في البنية وضعف في العصب وهم عجولون فلا صبر لهم ولا جلد ولا ثبات ولا همة ، لأن ضعف الأبوين ووهنهما يصير ميراثاً للأطفال . والمهم أن نعلم أن هنالك نوعين من الصفات والمواهب الوراثية : صفات وأخلاق وراثية جسمانية و روحانية . فمثلاً هناك ابناء يشبهون آبائهم من حيث الجسد والشكل ولكنهم يختلفون عنهم من حيث الأخلاق والوجهة الروحانية . وخير مثال يوضح لنا هاتين النوعين من الصفات الوراثية هو الرجوع لتاريخ الأنبياء فمثلاً : سلالة سيدنا إبراهيم عليه السلام ، فإن أبنائه كانوا يشابهون أبيهم جسداً وأخلاقاً وروحاً . فلذلك نرى أن الله قد مَنَّ على تلك السلالة بأن ينحدر جميع الأنبياء والمرسلين من سلالتهم . إذاً صار من المعلوم أن الأخلاق الوراثية موجودة ايضاً ، بحيث إذا لم يكن هناك تطابق في الأخلاق فإنه لا يعتبر من الوجهة الروحية من تلك السلالة ، ولو إنه من الوجهة الجسمانية من تلك السلالة وخير مثال على ذلك كنعان فإنه لا يعد من سلالة سيدنا نوح عليه السلام ؛ لأنه يختلف عنه كل الإختلاف من حيث الروح والأخلاق والمبدء . وقد نزل في سورة هود :" ونادى نوحٌ ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين (45) قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عملٌ غير صالح فلا تسئلن ماليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين " .

أما التفاوت الثالث في الأخلاق فهو من الناحية الإكتسابية ومن حيث التربية والتعليم وهذا عظيم جداً . لأن التربية والتعليم يجعل الجاهل عالماً والجبان شجاعاً والغصن الأعوج مستقيماً وفواكه الجبال والغابات المُرّة حلوة لذيذة ، والوردة ذات خمس غلالات تصبح ذات مائة غلالة وبالتربية تتمدن الأمة المتوحشة ، حتى الحيوان فإنه بالتربية يقلد الإنسان في حركاته وأعماله . وبما أن الإنسان له بعدين روحي ومادي فإنه بحاجة إلى الرقي المادي والروحاني معاً (أيّ إلى التربية الروحانية والتربية المادية) . التربية المادية هي تحصيل العلوم والفنون والمهارات على يد معلم ماهر متدرب . أما التربية

الروحانية هي عبارة عن تربية القلوب والأخلاق بالفضائل الإنسانية والكمالات المعنوية . والطفل بحاجة إلى الإثنتين وإذا لم يُربَّ فإنه يكون في نهاية التوحش ، فالطفل بمثابة الجوهرة ، قد اودع فيه الخالق صفات وأخلاق فطرية و وراثية ، ستظهر وتتجلى لمعان هذه الجوهرة البديعة بواسطة التعليم والتربية فهي التي تجعل الإنسان إنساناً وإذا ترك على الطبيعة فإن سائر صفاته الأخرى ستزول على مر الأيام ، أو ستغوص في رمال الزمان . وإذا تربى الإنسان تربية مادية و جسمانية وحُرِمَ من التربية الروحانية و الأخلاقية فإنه سينشأ حيواناً مفكراً ، فتخيلوا المجتمع يعيش فيه مجموعة من الحيوانات العاقلة والمفكرة بالطبع سيتحول المجتمع إلى غابة ويسودها قانون الغابة ألا وهو (البقاء للأقوى) وهذا ينافي قول الحق تعالى عن أصل الإنسان (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) صدق الله العظيم

أطفالنا هم المستقبل: الجزء الثامن

أن جميع الكائنات (جماد ، نبات ، حيوان ، إنسان) محتاجة إلى التربية ، فمثلاً نلاحظ أن النبات مهما كان ضعيفاً فإنه يزداد قوة عند الإعتناء به . وأن الأزهار مهما كانت صغيرة تصبح كبيرة بفضل التربية والشجرة عديمة الثمر حين تربونها تصبح مثمرة والأرض المليئة بالأشواك حين تربونها تصبح حديقة الرياحين ، والحيوان ينقلب بالتربية من حال إلى حال والحيوانات الوحشية حين تربونها تصبح أليفة أنيسة . إذن أتضح أن للتربية والتعليم تأثيراً في جميع الأشياء ولكن تأثيرها أعظم في عالم الإنسان . والإنسان بدون التربية حيوان بل أحط من الحيوان . وأكرر لكم بأن الإنسان بلا تعليم وتربية (روحانية قبل الجسمانية) يكون أدنى شأناً وعقلاً من الحيوان . والدليل على ذلك :

1- ما حدثت في العالم الإنساني من ضراوة وإفتراس لم تحدث في العالم الحيواني لأن كل حيوان يفترس كل يوم حيواناً واحداً لطعامه أما الإنسان فإنه يُبيد في اليوم الواحد مائة ألف نفس وينهب ويذل وياسر ويخرب المساكن والملاجىء .

2- إن الحيوان عندما يفترس فإنه يفعلها من أجل طعامه ، فمثلاً الذئب يفترس حملاً لأكله لأنه إن لم يفعل ذلك يمت من الجوع لأنه من آكلات اللحوم ، ولكن إنساناً يسبب تمزيق مليون نسمة ثم يسمي نفسه بالفاتح والشجاع والمقدام ، ونحن نتهم الحيوان المسكين بهذه التهمة . مع إنه مضطر من أجل طعامه إلى الصيد أما الإنسان فليس محتاجاً لذلك فلديه من الأطعمة والأقوات ما يكفيه ولكنه لمجرد الطمع وحب الشهرة والصيت يسفك الدماء .

3- الحيوان المفترس (الذي يفترس في اليوم الواحد حيواناً واحداً / وذلك لسد جوعه) لا يصيد من بني جنسه ولا يفترس من بني نوعه ، بل يفترس حيوانات من جنس آخر ليكون طعاماً له . فالذئب مهما إشتد توحشه لا يفترس ذئباً آخر، والأسد لا يفترس شبله . في حين أن الرجل الواحد يتسبب في قتل عشرات الآلاف من النفوس البريئة في يوم واحد (و من أبناء جنسه) . إذن الإنسان الغافل الظالم عديم التربية والتعليم أشد إفتراساً من الحيوان .

4- الحيوانات لا تتنازع مع بعضها البعض بسبب اللون والنوع والعرق و.. فنحن نرى الحيوانات المختلفة الألوان تعيش مع بعضها البعض متآلفة. وليس بينها تمييز في النوع فأغنام الشرق ترعى مع أغنام الغرب والطيور مختلفة الألوان تطير وتتآلف مع بعضها البعض فلا ينظر إلى الآخر بعين الغريب ولا يعتبره أجنبياً بل يرعى بعضها مع البعض الآخر في منتهى الألفة والوئام وليس بينها نزاع عنصري ولا نزاع قومي ... فمثل هذه الأمور لا تكون سبباً لوجود هذه الأوهام بين الحيوانات المجردة من الشعور والعقل والعلم والتربية والدين ، فهل يليق بالإنسان أن يتبع مثل هذه الأوهام ؟

5- الحيوانات المفترسة الضارية لا تتقاتل من أجل التراب وإنما يقنع كل منها بموضعه ، فالذئب يقنع بوكره ، والنمر يكتفي بمغارته ، والأسد بعرينه . ولا يفكر أيّ حيوان في التعدي على حق الآخرين ، فوا اسفاه للإنسان الغاشم الذي لو تسلط على جميع الأوكار لظل يفكر في وكر آخر يستولي عليه . وعلى الرغم من أن الله خلق البشر إنسانيين وحباهم العقل والعلم والدين إلا أنهم أصبحوا أسوأ من الحيوانات المفترسة .

إذن صار من الواضح لنا أن التربية والتعليم (الروحاني والأخلاقي ثم العلمي والمادي) ضروري لكل فرد في المجتمع ولأطفالنا بوجه الخصوص لكي نبني قاعدة متينة لمجتمع سليم روحياً وجسمانياً . فأطفال اليوم هومسئولين الغد . فيجب علينا إيلاء الأهمية القصوى بتوعية الوالدين ، وتدريب المعلمين ، وتحديث المناهج العتيقة لتناسب تتطلعات هذا العصر لا تجديد الطبع والنشر لنفس الكتب التي بيّنت عجزها بوضوح وإفلاسها السافر من خلال مانراه اليوم في مدرسة الحياة وكيفية تطبيق أولئك الذين درسوها وأمتحنوها في ميدان العمل والممارسة . وإدخال أسلوب الفن واللعب في تعليم الأطفال المفاهيم الأخلاقية والفضائل المعنوية ، بدلاً عن أسلوب الوعظ والإرشاد الأبوي القاسي والإستفزازي . لأنه تبيّن لنا من خلال عقود من التجربة الميدانية أن الإنسان لا يستجيب للأوامر بالضغط والإستفزاز والتلميح والخوف والعقاب . بل بالمحبة والرغبة والتشويق وتوضيح الطريق له بالأمثلة الجميلة المفرحة . فالإنسان مخلوق ينجذب للجمال . وكل ما يقرب الإنسان لله جميل ويجلب السرور ويغذي الروح والقلب. فلماذا نحوله لصيغة مخيفة يشمئز منها الأطفال ، أيّ لماذا نضرب للأطفال أمثلة مخيفة (كعذاب القبر، والسحلية والنار...) لتوصيلهم وتقريب قلوبهم الشفافة إلى بارئهم . أليس الله جميل ، يحب الجمال ؟ وألسنا متحدين في الهدف من التربية والتعليم وهو خلق جيل وقّاد الضمير مشتعل الروح ومتحد القلب في خدمة البشرية رافض لكل الفساد الأخلاقي مُبغض للعنف وإهانة كرامة الإنسان ، متسلح بالفضائل مزود بالعلم والعقل والدين . يحترم تفرد شخصية وثقافة وفكر ورأي كل فرد في مجتمعه لأنه يؤمن بأن كل إنسان خلقه الله فريداً من نوعه ووهبه النُبل والشرف .

أطفالنا هم المستقبل: الجزء التاسع

إن العلم هو أعظم موهبة الله لعالم البشرية ، وبالعقل والعلم يمتاز الإنسان عن سائر الكائنات . وبهما يكتشف غوامض أسرار الكون ويطلع على كوامن وخبايا القرون الماضية . وبه يُبدل ظلمة الأرض إلى نور فيتنور جميع الآفاق بأنواره . تخيلوا لو حظي جميع أطفال العالم (ذكوراً وإناثاً) بالتربية والتعليم الروحاني والمادي ؛ فسوف يكون لكل واحد منهم دور في رقي العالم حينها تصبح الكرة الأرضية جنة الله .

ولكن للأسف نجد اليوم أن أساس التربية والتعليم وضع على قاعدة التنافس ، فالطفل يسعى ان يكون هو الممتاز والأول على الجميع والأحسن والمتقدم على الكل ، بحيث لا يكون هناك أحداً أفضل منه ، إن التركيز على هذا الهدف والتفكير فيه يجعل التلميذ يفكر في أن لا يكون هناك شخص آخر يغلبه فيغفل عن الموازين الأخرى كما أن الأساتذة والمدراء أيضاً واقعون تحت تأثير هذا الموضوع بشتى الأساليب والطرق . والنتيجة نجد التلاميذ ينجحون بأعلى الدرجات ولكن بعد ذلك لو تسألهم عن أيّ معلومة درسوها تجدهم لا يتذكرون شيئاً ، لأن هدفهم لم يكن التعلم بل إحراز المركز الأول . وهكذا نغفل عن مصالح العموم لأن الهدف يدور حول (الأنا) وفي النظم الاجتماعية اليوم نجد أن كل شيء يدور حول هذا المفهوم ؛ كيف أكون فقط أنا مرتاحاً؛ مسروراً ؛ ناجحاً ، كأن البقية ليسوا مرتبطين بي ولا يهمني

أحد. كل شيء في العالم يروج هذا الهدف ، مثلاً في مباراة كرة القدم رغم إننا نجد هناك تعاوناً إلا أن فكرة التعاون مركزة في فريق ضد فريق آخر وأخيراً هما فريقان ، فريق منهم متعاون كي يغلبوا الفريق الآخر والفريق الثاني دافعه أن يكون في المركز الأول ، فكل الألعاب مبنية على هذا النظام أيّ نظام الغابة . والإنسان في هذا النظام ليس سوى حيوان مفكر .

ولتوضيح هذا المفهوم سأضرب لكم مثلاً : لنتصور المجتمع كهيكل إنسان بحيث يعمل ويتعاون جميع أعضاءه وأجزاءه مع بعضهم البعض . ولكن تخيلوا لو قلبنا هذا الميزان ، مثلاً أن اللسان يبقى وحيداً ويقول أنا لا أتعاون مع بقية الأجزاء ، واليد تقول سأبقى وحيدة ولا أعمل على توصيل الطعام إلى الفم ، أو بفرضية أخرى لو أن كلية الإنسان تقول أنا أريد أن أكون مثل العين ظاهرة للعيان ، لماذا عليّ أن أعمل بكل سرعة وهمة وأكون مخفية عن أنظار العموم، ولماذا لا أكون جميلة مثل العين ؛ أو تخيلوا لو أن القلب إشترط على بقية أعضاء الجسم أن يعمل إذا إختاروه رئيساً وقائداً لهم ، وفي حال رفضهم لشرطه الوحيد فإنه سيتوقف عن أداء وظيفته ، ماذا كان يحدث ؟ بالضبط هذا ما سينتج عن تربية الأطفال في جو من التنافس والسباق لكسب المركز والمنصب وزرع حب (الأنا) فيهم . ألم نتعمق في بيان الرسول الكريم (ص) حينما ضرب لنا مثل الجسد الواحد لتوضيح فكرة إرتباط المجتمع بعضه مع بعض وشرح لنا أن مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا إشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ؟ لماذا إختار الرسول مثال علمي مع إنه كان قادر بضرب أمثلة أخرى أقرب لحياة الأوائل مثل فكرة الجيش والحرب والغزوة ؟ لأنه كان يريد لنا أن نمتزج ونتعاون مع بعض دون وجود فكرة (الأنا) و(المنصب) و(لما وبما).

إذاً دور التربية والتعليم مهم جداً ومسؤلية المعلمين مسؤولية خطيرة وهامة وخاصة تدريس وتعليم الأطفال في السنين الأولى ، فإن تربيتهم على الصفات والفضائل الأخلاقية الروحانية اهم الأشياء لأن المعلومات سوف يكتسبونها لاحقاً . وعليهم تشويق الأطفال على التعاون مع بعضهم البعض في هذا الطريق والتركيز على فضيلة الإيثار والتضحية و مساعدة الآخرين . ولكي يغرسوا هذه المفاهيم في قلوب أطفالنا قبل عقولهم عليهم أن يضربوا لهم أمثلة وقصص معبرة ، فما أجمل مثال الشمعة لغرس مفهوم الإيثار في نفوسهم الطاهرة البريئة ، فعلى المعلم أن يرسم الشمعة على السبورة ويربط بين صورة الشمعة وفضيلة الإيثار على هذا النحو : أن الشمعة لكي تنير لنا الطريق تُقلّص من حياتها وتُضحي بعمرها قطرة قطرة إيثاراً منها كي تؤدي واجبها وتنير للآخرين الطريق . ثم يطلب منهم أن يرسموا الشمعة ويلونوها بألوان زاهية لكي تترسخ في أذهانهم هذا المثال كما أن للرسم والتلوين فوائد جمة منها: اختبار لقدراتهم الفنية و تخلق لديهم حس الجمال والانجذاب له ، كما أن الحرية في اختيار الالوان تبرز مافي ضمير الطفل وتخلق لديهم الذوق .

ثم يدعمها بسرد حكاية معبرة فالقصص : توضح المبادئ الروحانية وترشدهم لكيفية تطبيق تلك المبادئ كما توضح لهم ثواب العمل الطيب وعواقب العمل السيء بحيث يستفيد الأطفال من الأفكار التي تتضمنها القصص وتغذي حس الخيال لدى الطفل وتعطيهم تجارب وإن لم يعيشوها كما إنها تبقى مثال حي في أذهانهم تصحى حين رؤية موقف مشابه . كما أن اللعب يجب أن يكون ذات هدف تعليمي ؛لا أن يكون لمجرد تضييع الوقت فعن طريق اللعب (أقصد هنا اللعب التعليمية التعاونية وليس اللعب التنافسية الرائجة) نستطيع أن نعلم الأطفال بعض الصفات والفضائل لأن اللعب وسيلة جيدة للتعلم فالألعاب: يعلمهم الانضباط ومراعاة القانون وعدم الخروج عن قواعد اللعبة كما يعلمهم التعاون +

العمل من أجل تحقيق الهدف ويعلمهم الانتباه ، ويخلق لهم هدف مشترك وتولد الصداقة بين أعضاء الصف وتبعد المشاحنات وتنسق المساهمات و الحركات كما تعلمهم التضحية وتنمي لديهم مواقف معينة. والمهم أن يشعرالجميع بالنجاح عند إنتهاء اللعبة . فالهدف أن نخلق إنساناً يسير في طريق الكمال وحصوله منوط بالتعاون والتآزر وليس التنافس لأن الهدف الغائي من منظومة التعليم والتربية يجب أن يكون خدمة هيكل العالم البشري المنهك من لطمات الحروب والصراعات ومد يد العون للمجتمع الإنساني المكتوي بحرارة الظلم والإعتساف . فبعد أن مررنا بتجارب مريرة وتخطينا ويلات الدمار والقتال بالطبع إننا جميعاً نود أن نضع حجر أساس متين وقوي لمجتمع متعاون مؤمن بمبدأ الوحدة في ظل التنوع . فأطفال اليوم هومسئولين الغد .

أطفالنا هم المستقبل: الجزء العاشر

عندما نزرع البذرة الصغيرة بداخل الأصيص ؛ نلاحظ أن جذور تلك البذرة تمتد للأسفل بينما ينمو النبات لأعلى ، وبعد ذلك نقوم بنقله من الأصيص إلى الحقل الكبير ليكبر ويستفيد الجميع من ثماره . وبالمثل تماماً فإن الأطفال هم تلك البذور الطيبة التي نزرعها في البداية في المدرسة ونسقيها بالتربية والتعليم ونغذيها بالفضائل المعنوية ونوجهها لتستمد الطاقة من أشعة محبة الله ومن ثم يتم بالتسلسل إنتقال غرس تلك الغريسات إلى أرض المجتمع الكبير لتضرب جذورها بكل قوة ومتانة وعمق وتنمو فيه بكل همة ونشاط وتتفرع وتنتج ثماراً ناضجة في غاية الحلاوة . فالمدرسة هي المجتمع الصغير ، وكلما يحدث في المدرسة من إيجابيات وسلبيات ستكبر وتتعاظم ثم تنتقل بكل سلاسة إلى حياة المجتمع بأكمله . لذلك يجب إيلاء كل الإهتمام بدقائق الأمور التي تحدث بالمدرسة ، كونها البيئة الأولى في تربية وتنشئة الطفل؛ بعد المنزل . فيذهب الأطفال إلى دور الحضانة وهم صغار ولا يتركون المدرسة إلا وهم في بداية سن النضج ، مما يعني إنهم يقضون جزءاً كبيراً من سنوات تكوين الذات والشخصية وبناء الضمير ونمو تفكيرهم وثقافتهم في المدرسة ، كما أن المهارات والصفات الروحانية والعلوم التي يكتسبونها في المدرسة سوف تقودهم على تفجير أقصى طاقاتهم وتجعلهم ناجحين في حياتهم . وفي المقابل ستؤثر فيهم جميع العوائق والعلل والمشاكل والسلبيات الموجودة هناك ، كما تؤثر الآفات والحشائش الضارة والحشرات بحياة الغريسات الصغيرة .

وبناء على ذلك يكون من حق كل طفل أن ينعم بالأمان والإستقرار والسرور والثقة وعدم الخوف من حين خروجه من المنزل وحتى عودته إليها في المساء . ليعيش في جو ملائم لإكتساب التربية والتعليم . فرأيت من المحتم عليّ مناقشة أحد المشاكل الرئيسية في المدارس معكم ؛ ألا وهي موضوع "الإستئساد": وهو " إعتداء شخص او عدة أشخاص ؛ جسمانياً أو نفسياً ؛ أو لفظياً على شخص أضعف بشكل متكرر". فهذا الإعتداء يأتي في عدة أشكال – بعضها يكون مدمراً حقاً . فهناك الإعتداء اللفظي والذي يتضمن النعت بألقاب بذيئة ، وإصدار التعليقات المهينة ، والمضايقات المتكررة ، والتعليقات العرقية ، والتهديد والإعتداء الجسدي ، وهناك الإعتداء النفسي كإستبعاد شخص ما من المجموعة ، أو نشر شائعات حقيرة ... وهذه المشكلة تكمن في أن الضحايا يخشون أن يزيد إفصاحهم عما يحدث من الأمور سوءاً ، أو أن يعتقد الآخرون أنهم ضعفاء وغير قادرين على العناية بأنفسهم . والمستأسد غالباً ما يكون منحدر من عائلة غيرمتوازنة أخلاقياً يتم فيها إستعمال الضغط والخشونة خاصة مع المرأة والطفل

بشكل متكرر، فعندما يتم تحقير الأم والبنت والطفل في المنزل أو يقوم أحد أفراد الأسرة بإستخدام ألفاظ بذيئة وإهانة بقية أفراد الأسرة ، أو يقوم بتحميل وفرض الإرادة والآراء الشخصية عليهم ؛ ستتحول الأسرة إلى عامل إستبداد وهدم بدلاً من أن تكون سبباً في البناء والإصلاح، فتقوم بتخمير فكرة الإستئساد واستعمال الخشونة والاهانة في أذهان أبنائهم بدلاً من أن تضع اساساً قوياً لتزكية أخلاقهم وتهذيب صفاتهم . وعلى كل حال فإن الطفل المستأسد هو طفل لم يتربى تربية روحانية ولم يكتسب فضائل الأخلاق لذلك فإنه فقير من الناحية الروحية تراه كالحيوان عنيف ومتهور ولديه رغبة عارمة في التحكم على الآخرين والسيطرة عليهم . كما إنه لا يرى أنه مخطئ في شيء ويلقي باللوم دوماً على الضحية ، والمؤسف أن العديد من الأطفال يستأسدون كذلك رغبة منهم في أن يصبحوا جزءاً من مجموعة ما أو لجلب إنتباه قائد المجموعة، أو لإبراز قوة العضلات لديه ، أو إنهم يخشون أن ينتهي بهم الأمر ويصبحوا هم الضحايا إذا لم يمارسوا الإستئساد . فالإستئساد يشبه مرض السرطان فالقضاء عليه في المراحل المبكرة سهلة جداً ولكن في حال أن تعايشنا معه وإحتسبناه كجزء مقبول من العملية التعليمية فإنه سيستفحل وينتشر في جسم المدرسة وينتقل إلى بقية أعضاء المجتمع وسيتدرب ويقوى لينهش جسم البشرية بالكامل ونفاجئ في النهاية بأنه يزعزع أمن وإستقرار الناس ويُرهب ويخيف حياة البيوت الآمنة. فما شاهدناه في الشهور الماضية من إعتداءات وعمليات تخريب ونهب وإختطاف ... إنما هو درس لكل فرد لبيب في المجتمع يبحث بكل همة ليسهم في بناء مجتمعه ، وهو مرض وآفة يجب على الجميع بذل قصارى جهودهم لإستإصاله من جسد بيئتهم المعطائة . فيقال أن مريضاً كان يشتكي من صداع مزمن ذهب إلى الطبيب المعروف (إبن سيناء) ، وبعد ان أرقد إبن سيناء ؛ مريضه على السرير قام بمعاينة جسده بالكامل ، فقال المريض : لماذا تفحص جسدي والألم في رأسي ، فقال له الطبيب المعروف : العلامات تظهر في مكان أما العلة تكمن في عضو آخر . وإكتشف في النهاية أن الرجل لديه معدة ضعيفة وبمجرد أن يأكل أكلاً ثقيلاً يصعب على معدته هضمه فيؤدي ذلك إلى بروز الصداع من جديد ، وبدقة تحليل الطبيب الماهر ؛ تشافى ذلك المريض ولم يعاوده الصداع من جديد . ونحن إن أردنا خلق مجتمع آمن علينا البدء ببذور المجتمع (الأطفال) وتنظيف بيئتهم الصغيرة من عناصر الإستئساد ، وتربية المستئسدين بكل همة وكفاح لأننا لا نرضى بالظلم . فالمستئسدين هم أيضاً أطفال أبرياء حُرِموا من التربية الروحانية وفضائل الأخلاق ، وتربوا تحت ظل والدين ضعيفين من هذه الناحية . فلماذا نجور عليهم ؟ بل علينا إتخاذ الإجراءات الصارمة بخصوص تربية أطفالنا وحفظهم من أيّ إعتداء وتوجيه الخاطئين إلى الطريق الصحيح بكل مهارة ودراية ومحبة ، وتوعية أولياء الأمور بأهمية خلق جو من السرور والإحترام لكل عضو في العائلة والهدوء والمحبة وممارسة فضائل الأخلاق في المنزل والعمل على تقوية معنويات الطفل وشخصيته وسلوكياته مع الآخرين . فالبيت هو نواة المجتمع ، واللبنة الأولى في البناء الإنساني ، كما أن المدرسة هي البيئة الأولى في تربية وتعليم الأطفال ، وإن أردنا تحقيق النمو والإزدهار في المجتمع ، علينا بقلع جميع الآفات وقمع كل السلبيات التي تواجه أطفالنا في المدرسة ويمكننا القضاء عليه بالتعاون المشترك بين أولياء الأمور والمدرسة والمتخصصين بهذا الخصوص . وإن لم نتخذ أيّ إجراء لإيقاف الإستئساد ، فإننا ندعمه . وعلينا تحمل عواقبه إذا تطور وتحول إلى مهارة لدى مجموعة تنفذها في مسرح الحياة بكل جرأة ويكون ضحاياها أفراد مسالمين من عامة المجتمع !! وبسكوت الكبار على هذه الإعتداءات سيتعلم الصغار مبدأ التعايش مع الظالم بدلاً عن مبدأ الدفاع عن حق المظلوم ، وكيفية إستخدام إسلوب التسكيت أو التحقير والضغط بدلاً عن العدالة ومد يد العون وحماية الضعفاء!! أيّ بعدم مبالاتنا سنساعد في خلق جيل مفتقر للإحساس تجاه آلام الغير، كما سنقتل إحساس وشعور حب جميع البشر وفضيلة العدالة في وجود أبنائنا.

أطفالنا هم المستقبل: الجزء الحادي عشر

إن الله خلق الإنسان بفضله وموهبته العظمى، وشرفه بخلعة "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم"، وميزه على بقية المخلوقات بقوى العقل والادراك والتفكير والتخيل والحفظ والتعبيروالشعور والإحساس والحواس.. ووهبنا الروح وأعطانا حكم الإختيار، فجميع الكائنات مسيّرة ومجبرة على القيام بوظائفها ودورها في الحياة ماعدا الإنسان فإنه مُخيّر وبإستطاعته إختيار أيّ طريق يريد أن يسلكه.. ولذلك أرسل لنا الله الرسل كي يعلمونا الطريق الصحيح من الخطأ ويوضحون لنا نتائج وعواقب كل طريق نسلكه.. فالإنسان مخلوق لديه قدرات وقوى عظيمة كامنة فيه يجب إبرازها وإظهارها وتقويتها بالعلم والتربية .. وبناء على ذلك يجب إيلاء كل الإهتمام بالمناهج التي يدرسها أطفالنا ، ووضعها تحت المجهر لكي نرى هل تقوم بوظيفتها الأصلية وهي تطوير وصقل قوى العقل والتفكير والادراك في اطفالنا؟ وهل تلامس وتشحذ قدرات إبداعهم وتخيلهم ؟ وهل ستؤدي إلى إستغلال أبنائنا حواسهم وإحساسهم وشعورهم وعواطفهم في المستقبل في طريق البناء والعمران ؟

إن أردنا الوصول لتلك الأهداف السامية يلزمنا مناهجاً (روحياً ومادياً)، يحتوي فيه؛ على المفاهيم بنسبة 50% ومعلومات ومحفوظات ومواضيع فنية وحرفية ومتفرقة.. بنسبة 50% . وعلى جميع المواضيع المذكورة أن تدمج مع الأدلة الكونية . فالإنسان مخلوق يتعلم من كتابين : كتاب التدوين (كل شيء مُدون ومكتوب) وكتاب التكوين (كل مظاهر الكون والأمثلة الحياتية الطبيعية) . وهنالك فرق بين المفهوم والمعلومة ، فما يدرسه أبنائنا اليوم هوعبارة عن معلومات وفي العصر الحاضر وبوجود الحاسوب نحن لا نحتاج للمعلومة وتضييع الوقت في حفظ تلك المعلومات واختبارها غير ملائمة لطبيعة حقيقتنا الإنسانية، فبالضغط على زر سحري واحد على جهاز الحاسوب نستطيع الوصول لأي معلومة بكل يسر، فلماذا نتعب عقول أطفالنا بمناهج تتبع الحفظ وإسلوب ملأ وحشو العقول بالمعلومة ؟ فالتجارب اثبتت أن التلاميذ بعد الإمتحان بدقائق يتبخر لديهم كل تلك المعلومات المحشوة لأنها لم تدمج بالمفاهيم وبالأمثلة الكونية والتحليل كي تثبت في الذهن . في حين لو ندرس اطفالنا جملة واحدة بالتركيز على المفهوم وبالربط مع الأمثلة الكونية ستثبت لديهم تلك المفاهيم وسيطبقونها في ميدان الحياة . فمثلاً جملة (العلم نور) نأخذ العلم ونوضح معناه وأنواعه ثم الشق الثاني النور نوضح معنى النور وأنواع النور ونضرب لكل شق مثل حيّ من الحياة ونوضح الفرق بين النور والضياء كما جاءت في الآية الكريمة (هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً) وبما أن علمنا نحن البشر إكتسابي فشُبِّه بنور القمر لأن القمر نوره إكتسابي والشمس ضياءه تلقائي، ثم نجمع الجملة(العلم نور) ونضرب مثل يجمعهما ببعض فمثال الغرفة مناسبة لتوضيح مفهوم تلك الجملة فلو دخلنا غرفة بها جميع وسائل الراحة كالمقاعد والطاولة والتلفزيون و.. ولكن كانت الغرفة بلا نور وسراج هل نستطيع الإستفادة من تلك الوسائل بكل يسر أم تتحول تلك الوسائل إلى نقمة لنا فنتخبط فيها ونقع على الأرض ونصاب بعاهة .. إذاً قد وهبنا الله قوى عظيمة كامنة في كل واحد منا (كوسائل الراحة الموجودة في الغرفة) ولكن بواسطة العلم والتربية نستطيع أن نستفيد من تلك القوى ونستغلها في الطريق السليم (بمثل السراج ودوره في إضاءة الغرفة حتى يتسنى لنا الإستفادة من جميع الوسائل الموجودة فيها). وبهذه الطريقة يحفظ التلميذ هذه الجملة باسلوب الفهم والتطبيق وسيقوم بربطه بمفاهيم اخرى وبهذه الطريقة قمنا بتشغيل عدة قوى كامنة في عقولهم الفذة. ولم يكن هدفي من ذكر كل هذه الأمثلة سوى توضيح أهمية دور العلم في خلق جيل مسلح بالفكر والثقافة والادراك والرأي والابداع ، وقادر على حل جميع المعضلات والعقبات التي تواجه مجتمعه وكيفية إستخراج تلك القوى المكنونة وصقلها تكون بواسطة مناهج تعتمد على تحفيز العقول على التفكير لا الحفظ والحشو، لأن قوة التفكير والإدراك والتخيل لدى الانسان هي السبب في نموه وتقدمه وتقدم العالم الانساني بأسره . والانسان دائماً يتعلم من أخطاءه والمشاكل التي ألمت به بمثل

الطفل الرضيع الذي يتعلم المشي بعد أن يقع مرات ومرات ثم يقوم مجدداً وكله أمل في تحقيق الهدف ، إذاً علينا القيام مجدداً بعد الأزمة التي مررنا بها بكل همة ونشاط وأن نستغل كل إمكاناتنا العقلية ومواهبنا الإلهية في طريق البناء والعمران بأمل بناء غدٍ أفضل ودعونا نتأمل في هذه الكلمات الدريات من أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه والتي هي ملخص هذا المقال:" دواؤك فيك وما تشعر .. وداؤك منك وما تبصر .. وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمر.. وتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر.. فلا حاجة لك من خارج .. ففكرك فيك وما تفكر.."

أطفالنا هم المستقبل: الجزء الثاني عشر

قد مر تاريخنا البشري بالعديد من التغيرات الحضارية، والتي عادة ما كانت تتسم إما بالبطء الشديد أو السرعة الشديدة لدرجة تجعل من الصعب ملاحظتها. وأحد تلك التغييرات هو إختراع الطفولة.

إن إعتبار مرحلة الطفولة أهم مرحلة في الحياة أمر جديد نسبياً، ولقد إختلفت آراؤنا تجاه هذا الأمر اختلافاً جذرياً على مدار الثلاثمائة عام المنصرمة. فمنذ ذلك الحين، وفي مختلف المجتمعات كان من الشائع أن يعمل الأطفال في أجواء مريعة : كالمصانع والمناجم ومعامل القطن والبواخر العملاقة .. وكان التعليم وقتها متاحاً فقط للطبقات المميزة. وكانت أول إدانة وجهت لطفل حدثت في أول فريق كان متوجهاً لأستراليا بحراً، وكان هذا الطفل يدعى"جون هدسون"ويبلغ من العمر تسعة أعوام، ويعمل في تنظيف المداخن ، وقد ضبط متلبساً بسرقة ملابس ومسدس بهدف الدفاع عن نفسه جراء الضرب والإهانة التي تلقاها هناك .

وبالطبع فإن نظرتنا للأطفال الآن تختلف تماماً عما كان رائجاً في السابق، وكما أن المجتمع يتغير طوال الوقت، نرى أن الطرق والأساليب القديمة والوسائل والمناهج العتيقة التي كانت تتبع سالفاً؛ قد طويت لتحل محلها أساليب توائم وتوافق هذا العصر الحديث المستمر نحو التطور.

ومقدمتي هذه لا تعني أننا إنتقلنا من زمن كان يُستعبد الأطفال فيه؛ لآخر أصبح يحكمه الأطفال. بل إن حاجة أبنائنا إلى التربية والتعليم (روحانياً ومادياً) ووضع الحدود والقوانين والنظام لا تتغيير بل الوسائل الغير مجدية والأساليب الخاطئة هي التي عليها أن تتغيير لتلائم تطلعات هذا الجيل. وبصفتنا والدين/ معلمين/ مسئولين نقوم بتشكيل نواة المستقبل، لدينا الفرصة الآن لنخرج من القمقم ونقوم بإحداث تغيير جذري في أسلوب التربية والتعليم ولنبدل ذلك القالب القديم بقالب جديد ملائم وموافق لصورة هذا العصر الحديث.

لذا رأيت من المهم أن أناقش معكم في هذا العدد موضوع تقبل وإحترام ثقافة الآخر وغرس مفهوم الوحدة في ظل التنوع في قلوب أطفالنا وعقولهم . لأنهم يمتلكون عقولاً فذة لديها القدرة على إستيعاب

تولي مسئولية ليس ما يحدث في مجتمعهم ووطنهم فحسب بل ما يحدث لكوكبنا واتخاذ الإجراءات اللازمة لإصلاحه. فالأمر مخول إلينا إما أن نتبع مسار الإنغلاق ونربي أطفالنا على التعصب و التديّن السلبي و ضيق الأفق الإجتماعي والتطرف وسد كل المنافذ الخارجية على وجوههم وتطعيمهم بفكرة (أنا والغريب) السامة، وتجميد أفكارهم وعقولهم بالتخويف والتهويل وإستخدام العقاب الجسدي والتأنيب اللفظي. أو السير في هذا المسار الثاني وغرس التديّن الحقيقي و مبدأ العدل والإنصاف وإحترام كل إنسان في نفوس فلذات أكبادنا وتطعيمهم بفضائل الأخلاق وتسليحهم بالعلم والتربية وتزويدهم بالفنون والمهارات وتدريبهم على تحقيق أهداف سامية في الحياة وكيفية مواجهة العقبات التي تبرز أمامهم ومن ثم تشجيعهم على التحليق لتحقيق أعلى الغايات وتقديم أعظم الخدمات. وبالطبع سيكون لكل مسار من تلك المسارين المذكورين أعلاه نتائج وثمار في نفوس أبنائنا والمجتمع بل العالم بأسره . فبتتبع المسار الأول سنخلق في نفوس أطفالنا رؤية ممزوجة بالتعصب نحو فئة في المجتمع كما سنُضعف أحساس حب نسل الإنسان وطلب العدالة لديهم.

فليس غريباً ولا مجال للتعجب عندما يبلغ هؤلاء الأطفال والذين ترعرعوا في بيئة كهذه ويصلوا إلى سن البلوغ أن لا يحسوّا أو يبالوا بآلام وأوجاع الناس ، كما إنهم سيعتبرون الظلم والعنف وسيلة عملية لإستخدامها مع الآخرين بإعتبارها أمر مشروع وجائز ، ومن المحتمل أن يقوموا هم بأنفسهم بترويج هذا الظلم . علاوة على ذلك ففي المجتمعات الظالمة والمستبدة يكون الدفاع عن حقوق البشر وحماية المظلومين أمر صعب لأن هؤلاء الأفراد يختارون الطريق السهل أيّ السكوت على الظلم و مسايرة المستبد الظالم بدلاً عن ترويج العدالة وحماية المظلومين ، وبذلك سيسدوّن بصورة لا شعورية طريق التقدم الروحاني والمعنوي على أنفسهم ويصبحون عائقاً في سبيل تقدم مواطنيــهم .

أما ثمار تتبعنا للمسار الثاني ، نلاحظ كيف يتعلم الصغار أن يفكروا بحقوق أفراد أسرتهم ، ومع المزيد من هذه التربية يتعلموا أهمية رعاية أحوال الجيران ؛ كما سيعتبرون تقديم الخدمات لهم من جملة وظائفهم ، وفي مستويات أعلى وأعمق تكوّن التربية السليمة لهم رؤى أوسع بحيث سيجعلون عزة وطنهم وشعوبهم موضع إهتمامهم . وعندما تتسع رؤيتهم وتصل إلى منتهى درجة الكمال بأنهم يجعلون تقدم النوع الإنسان وخيره ؛ وصلاح جميع أفراد البشر أحد أهداف حياتهم . إن العائلة والمدرسة هما البيئة التي تنمو فيها جذور التربية التي تضم فيها مثل هذه الأفكار العظيمة والعالمية . وبهذا المنوال سيتم تربية أجيال ذات همم عالية بـحيث يرون رُقيهم وتقدمهم في سعادة وعزة الآخرين .

فاليوم وبظهور وسائل المواصلات والاتصالات الحديثة ونظام التكنولوجيا الحديثة أصبح العالم قرية صغيرة فلا نستطيع حجز أطفالنا في حجر صحي كي لا ينال منهم أمراض الخارج أو تخويفهم من تقبل وإحترام أيّ ثقافة خارجية بل علينا تطعيمهم بالأصول الدينية وفضائل الأخلاق وتدريبهم وتقوية أساسهم ثم تركهم ليواجهوا العالم الخارجي بكل شجاعة . ألم يتفضل الرسول الكريم (ص): "إطلبوا العلم ولو في الصين" لماذا خصّ الرسول طلب العلم بجملة (ولو في الصين) واهل الصين هم غافلون عن الوحدانية ومستغرقون في بحر الشرك ؟ ألم يقصد الرسول الكريم بأن طلب العلم والمعرفة لا يتوافق مع التعصب والتجميد الفكري! ألا يقصد بها إحترام وتقبّل ثقافات الأمم ! ألا يقصد معلمنا الغالي محو فكرة النظر للغير بنظرة الغريب والمذنب والمخطئ! ألم يريد حضرته إستإصال مفهوم (أنا ومن يخالفني هو غريب عني) أيّ مفهوم (أنا والغريب) السرطانية من جسد المجتمع. ألم يهدف لخلق مجتمع وقّاد الضمير ومثقف ومشتعل الروح ، مُحب لجميع العالم البشري ، متمسك بالحقيقة متحرر من الأوهام ويحترم ثقافة الآخرين. كما ضرب لنا الرسول الكريم أعظم مثال يُحتذى به في هذا المجال ففي غزوة الخندق

أخذ الرسول برأي سلمان الفارسي حينما قال له : إن الفرس في مثل هذه الظروف التي نمر بها الآن يحفرون خندقاً ليحتموا فيه من ظلم العدو،(أيّ فكرة الخندق فكرة مجوسية)، قبلها الرسول العظيم في الفور، وطبقها على أرض الواقع وربح الغزوة. لماذا لم يرفض الرسول رأي سلمان الفارسي بسبب خلفية الفكرة ويعلّق كيف لرسول مثلي أن يأخذ بثقافة أمم وثنية مشركة؟ أليس هذا أعظم درس لحياتنا؟ تدبروا كيف أن سيدنا محمد في ذلك العصر الجاهلي كان لديه شخصية وقادة مرنة وعقلية فذة غير متعصبة يحترم ثقافات الأمم ويطبقها إن كانت تخدم أهدافه المباركة السامية ؟

وبما إننا تحدثنا عن الصين وعن فكرة إحترام ثقافة الغير، فإنني أحب أن أُلخِّص حديثي معكم وأختمه بمثل صيني قديم:" إذا توافرت الألفة والمحبة في المنزل فسوف يسود النظام في المدرسة، وإذا توافر النظام في المدرسة فسوف يسود الأمن في الوطن وإذا توافر الأمن في الوطن فسوف يسود السلام في العالم".

أطفالنا هم المستقبل: الجزء الثالث عشر

إن العائلة تعتبر أول وأهم أساس للمجتمع، فهي اللبنة الأولى في البناء الانساني، والعائلة المتحدة تُعتبر حجر أساس المجتمع المتحد، فإن تحقيق السلام والوحدة في العالم مرتبط باتحاد العائلة،فهي نواة المجتمع وجوهرها . وكما قال أحد الحكماء:" قارنوا دول العالم بأعضاء العائلة الواحدة . العائلة هي دولة مُصغّرة. ببساطة، وسّع دائرة الأسرة تحصل على دولة. وسّع دائرة الدولة تحصل على الانسانية بكاملها. الظروف المحيطة بالأسرة محيطة بالدولة. ما يحدث في العائلة يحدث في حياة الدولة. هل تترقى وتتقدم العائلة إذا برز خلاف بين أعضائها، الكل يتعارك، ينهب بعضهم بعضاً، يتفشى فيهم الحسد والانتقام، ويسعى كل منهم بأنانية ليتفوّق على غيره؟ لا بل إن هذه السلبيات تكون سبب تشويه وجه الرقيّ والتقدم. وهذه هي الحال في عائلة الدول الكبرى، إذ إن الدول ما هي إلا مجموع العائلات. لذلك، كما أن الخلاف والنزاع يهدمان العائلة ويمنعان تقدمها، كذلك يؤديان إلى هدم الدول وتأخير تقدمها". وبناءً على ذلك فإن الأسر التي تشكل بنية الإنسانية يجب أن تُربى على أسس الفضائل الإنسانية ، والإهتمام دوماً بتقوية الروابط الأسرية وعدم إهمال حقوق أيّ فرد من افرادها. كما يجب على الجوّ العائلي في البيت أن يكون جوّاً مشجعاً ودافعاً نحو الكمال. يجب تنمية حب الإستطلاع الفكري، ورغبة الإكتشاف، وزرع بذور تقوى الله وخشيته تعالى؛في قلوب الأطفال وذلك منذ نعومة الأظفار . لأن خشية الله هو الدرع الذي يحميهم من سهام عالم موبوء بالأخطار. قلنا على الوالدين تربية أطفالهم منذ الصغر على الفضائل الروحانية وخشية الله بكل همة ونشاط ، لأن الغصن طالما هو طريّ يمكن تربيته كيفما تشاء، فعلى الوالدين تربية فلذات أكبادهم كما يُربي البستاني أغراسه ويعتني بها. ولكن الأمر المهم أن نشرح للأطفال معنى مخافة الله كمفهوم وليس كأوامر بأسلوب التخويف والتهويل ، ولا مانع من إتباع وسيلة الأمثولة والحكايات والقصص الرمزية، علينا أن نفهم الأطفال أن مخافة الخالق تنبع من عظيم حبنا له تعالى وإدراكنا لعدله . فمن يحب شخصاً حباً شديداً يوّد أن يكون دوماً في محضره وأن يعمل ما يجلب رضاءه ويتجنب ما يكون سبباً في تكدّر خاطره ، فما بالكم بحبنا لله تعالى الذي أغرقنا بعظيم عطاياه ! خلاصة الكلام علينا أن نبني خشية الله تعالى في قلوب أطفالنا على أساس حبنا الشديد له وخوفنا من عمل ما يبعدنا عن رضاءه وإدراكنا لعدله وألطافه معاً. أيّ علينا أن نحب الله ونخافه في آنٍ معاً .

والعامل المهم الآخر الذي ذكرناه هو أن على الجوّ العائلي في البيت أن يكون جواً مشجعاً ودافعاً نحو الكمال، فعلى الوالدين أن يثنوا ويطروا أطفالهم كلما قاموا بعمل ممدوح ويملئوا قلوبهم شغفاً وسروراً ، وفي حال صدور أدنى حركة شادة من الطفل عليهم نصحه بالرجوع إلى الفضيلة المفقودة في عمله الخاطئ تلك، مثلاً إن سرق الطفل غرضاً من أغراض إخوته على الوالدين تقديم النصح والإرشاد له والرجوع إلى فضيلة الأمانة وتعميق مفهوم الأمانة في نفسه وضرب الأمثال والحكايات له؛بهذا الخصوص . والتعامل معه بوسائل معقولة ولو بقليل من الزجر في الكلام إذا لزم الأمر، ولكن الضرب والشتم لا يجوزان أبداً فإنهما يفسدان أخلاق الطفل، كما أن الإهانة واللعن وإطلاق أسماء سيئة عليه ممنوع؛ لأنه تؤذي شخصية الطفل وستؤثر عليه بالسلب ولا تصحح تصرفه . وهنالك طرق عديدة لمعاقبة الطفل كمنعه من عمل شيء يحبه كإبعاد لعبة يحبها، من المهم عدم المبالغة في العقاب أو إستخدام الإرهاب (التخويف) لمعاقبة الطفل، وذلك لأننا كما قلنا سابقاً هدفنا هو بناء العالم ونعلم أن سكينة العالم ونظامه يعتمدان على العدالة ، وهي بدورها قائمة على المكافأة (التشجيع) والمجازاة(العقاب) . فعلينا أن نزرع هذه المفاهيم في العائلة لتعم بكل سلاسة إلى هيكل المجتمع ، فلتكن بيوتنا منظبطة ؛ خالية من العنف ، ولنتحاشى استعمال الإرهاب والكلمات القاسية في المنزل. فقد يُنتظر من جميع أفراد العائلة أن يتصرفوا بنبل، كياسة ، إنصاف وهدوء تجاه الجميع وأن يُعاملوا بالمثل . فإن أردنا فهم موقعنا اليوم ودورنا الحيوي في مسرح الحياة علينا أخذ العبرة من السابق كما قال الشاعر:

ليس بانسان ولا عاقـــل من لا يعي التاريخ في صدره

ومن درى اخبار من قبله أضاف اعماراً إلى عمـــــره

فإننا نرى أن الأمهات الأوائل(مربيات الأجيال السالفة) كانوا يُربون أطفالهم منذ الصغر على الحرب، كانوا يُدربونهم على الخشونة ولا يعطون اطفالهم الماء والغذاء الكافي، وحين الحروب كانوا يلبسون اولادهم القباء الأحمر ويرسلونهم إلى الحرب وعند الوداع كانوا يوصون أبنائهن بثلاث خيارات لا رابع له: إما النصر أو الشهادة أو قضاء بقية حياتهم في الصحاري والبراري وأن لا يرجعوا إلى المنزل لأنهم سوف يجلبون العار لأسرتهم . هكذا تبلورت فكرة الحرب والقتال في نواة المجتمع وخرج ليعم الظلم والقتال والحروب والغارات العالم بأسره . كما سطر في تاريخ هتلر بأنه امر جنوده بقتل وإحراق ملايين الأطفال والنساء والشيوخ وبعد ذلك علّل فعلته بقوله: أردت أن أثبت للعالم أن الحرب كسائر الشؤون الاجتماعية لم تتأخر أو تتوقف يوماً عن الرقيّ والتكامل . تخيلوا عقلية هذا الظالم ، ونرجع لنرى خلفية هذا الظلم، فنقرأ أنه قال أن والده كان يضربه ويهينه بإستمرار ، فعندما حان له الوقت وسمحت له الأقدار أراد أن يحكم ممالكه بنفس عقلية والده ويُظهر النقص والحرمان الذي عاشها والبيئة الفقيرة التي ترعرع وكبر فيه. إذن علينا أخذ العبرة والعظة من الماضي فهنالك مثل يقول :" أن أفضل أنبياء المستقبل هو.. الماضي" . وإعتبار الأسرة نموذجاً للمجتمع؛ يعني أن ما نريد زرعه في الدولة علينا بغرسه في العائلة والبدء بالأطفال، فبتربية الأطفال على القيم والفضائل الانسانية والمبادئ الروحانية سيمتزج هذه الخصال مع اللبن ويصبح جزءاً من وجودهم وشخصيتهم في المستقبل وسيطبقونها عملياً على جميع المستويات، وليس فقط داخل العائلة . وبالنقيض فإن الصفات والخصائل الغير لائقة التي يتلقاها الطفل في الأسرة، فإنه سيتعود عليها فلن يكون من السهل عليه تركها ويحصل أحياناً أن الشخص رغم علمه وعدم قناعته لسلوك ما وبأنه مضر وسيء إلا أنه يمارسه لأنه اعتاد عليه ولا يستطيع تركه.

أطفالنا هم المستقبل: الجزء الرابع عشر

أحب ان أتحدث معكم اليوم عن تأثير أصدقاء السوء على أطفالنا ، فلقد أثبتت الإحصاءات أن معظم الجنايات التي يرتكبها الأفراد تكون بوسوسة رفاق السوء .. فهنالك مسئلة مُسَلّمَة لدى العموم بأن تأثير الشر أقوى و أسرع من تأثير الخير ، وإن الخير بطيء السريان مقارنة بنقيضه الشر .. فعلى سبيل المثال حينما يجالس شخص أمين مع قرينه الخائن ، سيتغير الأمين بكل سهولة ليصير خائناً ، ولكن من الصعب تغيير الخائن و تطعيمه بفضيلة الأمانة .. و الصادق يصبح كاذباً ، حينما يعاشر صديقاً كاذباً خائناً . كما أن السخي سيصبح بخيلاً إذا جالس و آنس مع نظيره البخيل ، ولكن من الصعب تغيير البخيل إلى كريم و الرذيل إلى صالح ، وقس على ذلك .

و برهان هذا الأمر أيّ قوة تأثير الشر بالمقارنة مع قوة تأثير الخير واضح كالشمس في رابعة النهار : فلو خلطنا شخص مريض بداء الجذام مع مجموعة نفوس سليمة فسيسري الداء بكل سهولة إلى الأصحاء ولكن من الصعب أن يؤثر قوة صحة الأصحاء في شفاء المريض بالجذام . و بنفس المنوال لو سمحنا لطالب يحمل فيروس الحصبة ليجلس في صفه وسط أقرانه الأصحاء فسينقل لهم بكل يسر عدوى الحصبة .. إذاً علمنا بأن تأثير ذمائم الأخلاق أسرع و عدوى وباء الفساد أيسر انتشاراً من سلامة فضائل الأخلاق و قوة تأثير الخير.

و هنالك مثال آخر يوضح لنا جانب آخر من هذه المسئلة و هو : إن المعمار يبذل قصارى جهده في بناء عمارة عظيمة و يكمل تشطيباته النهائية بكل مهارة و دقة و لكن العمارة تهوى أرضاً و تتحول إلى كومة تراب بتفجيره بقطعة ديناميت صغيرة .. و بنفس المنوال نرى كم يبذل الوالدين قصارى جهدهم في تربية فلذات أكبادهم و هم يحرصون على حفظهم و سلامتهم و لكن بمجرد مخالتطهم برفاق السوء يفسد أخلاق الأطفال و يتغيّر سلوكهم بحيث يستغرب الوالدين من هذا التغيير و التحوّل الحاصل في شخصية أبنائهم ، و كم ما نسمع من أحد الوالدين و هو يقول بحرقة : (و كأنه ليس إبني !!) (و كأني ما ربيته أصلاً!!) ...

لذلك أحب أن أرجوا من جميع القراء الأعزاء إن كانوا والدين ، معلمين ، مسئولين... التفكر و الإهتمام بهذا الموضوع و مراقبة سلوكيات الأبناء و الطلبة .. و لنرفع سوياً شعار (لا لصديق السوء) .. وقلع هذه الآفة من جذورها في مراحله المبكرة لأنها ستكون سهلة بمثل تنظيف الغريسات من الحشائش الضارة ، ولكن حينما نتساهل معها ستتحول إلى شجرة عميقة الجذور و سيصعب إقتلاعه أو سيتطلب علاجه وقوع نوع من المعجزات .

سأختم حديثي بحكاية ملؤها الحكمة : في أحد الأيام التقى شيخ معروف بزهده و عبادته و تقواه مع شخص فاسد عديم الأخلاق .. فحزن الأول بحال الثاني ، فقرر الشيخ الصالح أن ينصح قرينه الطالح و يُرجعه إلى حياة الدين و الايمان و يجره من ظلام الفساد إلى نور الأخلاق .. فخاطب الشيخ ذلك الشخص الفاسد قائلاً: إلى متى تسلك طريق الشر و الفساد ؟ و لما تُضيّع نقود حياتك في اللهو و اللعب و المحرمات ؟ تعال معي لنذهب سوياً إلى طريق الله و لنصلي و نعبده سوياً و لتصوم أربعين يوماً حتى يغفر لك الله و يهديك و بعدها سيحن و يخشع فؤادك و سيشتعل نور الإيمان في قلبك .

ضحك المفسد المرتكب للرذائل ، ثم قال : مدة أربعين يوماً .. هذه مدة طويلة .. لما لا ترافقني أنت يا شيخنا العظيم المعروف بزهدك و تقواك بين العوام و تأتي معي ليلة واحدة .. ليلة واحدة فقط لتمشي معي في طريقي و لنسير سوياً في عوالمي .. صدقني يا شيخ إنني في ليلة واحدة سوف أجعلك تنسى عبادة السبعين سنة ...

الحكمة : احفظوا أولادكم من رفاق السوء .